

الدم الذي يصرخ

الإثنين 13 سبتمبر 2010

غسان شربل

الصحافي كائن مزعج، جاسوس يرفع تقاريره الى القراء. والقارئ ديكتاتور متطلب، يريد أن يعرف أكثر، لا تقتنع الرواية الرسمية، يستقبلها بابتسامة المجرب وبالكثر من التشكيك، يلقي على الصحافي مهمة كشف منسوب التلاعب في الرواية، والذهاب الى الكواليس، والتسلل الى المناطق المحظورة، والعودة منها بما يسد الجوع، الجوع الى الحقيقة أو الإثارة.

الصحافي يريد أن يعرف القصة بخلفياتها وخبوطها وما رافقها من ارتكابات، يريد أن يكون خبره مختلفاً ومميزاً، يريد إرضاء ضميره، وكسب استحسان قرائه، والفوز بإعجاب رئيس التحرير في مطبوعته. ورئيس التحرير هو في الغالب كائن مزعج، جاسوس رفيع يجمع تقارير زملائه ويرفعها الى القراء. يعرف أن الصحيفة تمثل كل يوم أمام محكمتهم .

وأنهم قساة، يريدون من الصحفيين أن يذهبوا أبعد وأن يتجاوزوا الخطوط الحمر وبغض النظر عن الأثمان. الصحافي كائن مزعج حين يحترم الحقيقة والموضوعية وأصول المهنة ويتفادى أفخاخ الإغراءات ومحاولات الإسكات الذهبية أو الفضة. يصعب أن يكون مثل هذا الصحافي محبوباً أو مقدرًا. امتناعه عن المشاركة في الترويج أو التضليل يرسم حدوداً لعلاقاته. وليس سراً أن المعارضات في العالم الثالث تعتمد أحياناً كثيرة أساليب شبيهة بأساليب الحكومات والمجموعات التي تكره الصحفيين وتتفنن في ابتداع وسائل إخراسهم.

كنت أنوي الكتابة عن باكستان التي تتقدم بخطى ثابتة نحو الهاوية وأغلب الظن أن أحد جنراتها ينظر الآن إلى ساعته. لكنني غيرت رأبي لدى قراءة ما أعلنه أمس المعهد الدولي للصحافة. قال إن 52 صحافياً قتلوا في الشهور الثمانية الماضية من السنة الحالية بسبب ممارستهم مهنتهم وهم أقل بأربعة ممن قتلوا في الفترة نفسها من السنة السابقة التي شهدت مقتل 110 صحافيين. وفي نتائج السنة الحالية تقدمت المكسيك وتبعتها هندوراس ثم باكستان. الحقيقة لا يمكن اعتبار اللوحة نهائية بالنسبة إلى السنة فقد تحقق دولة أخرى مفاجأة وتفوز بأوسكار قتل الصحفيين.

ضاعف التقرير غضباً ينتابني منذ أيام حين اغتال مسلحون وبمسدسات مزودة بكواتم للصوت الصحافي العراقي رياض السراي في حي المنصور في بغداد. وقالت الأخبار ان السراي قدم عدداً من البرامج الدينية التي تحاول تقريب وجهات النظر بين السنة والشيعة إضافة الى تقديم برامج سياسية. يحزن الصحافي حين يقرأ نبأ مقتل زميله. ينألم لكنه يتقبل حين يعرف أن الصحافي قتل خلال تغطية معارك وأن حظه خانه كما يمكن أن يخون مواطنين آخرين. المسألة تختلف حين يسقط الصحافي برصاص الاغتيال.